إشكاليّة استعادة وحدة كرسيّ الروم البطريركيّ الأنطاكيّ

الأب ڤيكتور شلحت اليسوعيّ(*)

كان إنشاء الكرسيّ البطريركيّ الملكيّ الأنطاكيّ الكاثوليكيّ في العام ١٧٢٤ حصيلة مسيرة طويلة وعوامل خارجيّة وداخليّة مختلفة. فعزاه بعضهم(١) إلى تأثير المرسلين اللاتين الثقافيّ والاقتصاديّ، وإلى قناصلهم المقيمين بحلب التي اشتهرت في ذلك الزمن بموقعها الجغرافيّ والتجاريّ. ونضيف أنّ الآباء الفرنسيسيّين والكبّوشيّين واليسوعيّين(٢) كانوا يمارسون رسالتهم استنادًا إلى مبادئ مجمع الوحدة الذي انعقد في فلورنسا - ڤرارا (١٤٣٨-١٤٤١). غير أنّ هذا المجمع لم يصمد أمام سقوط القسطنطينيّة (١٤٥٣) طويلًا، وكان هؤلاء الآباء يمارسون رسالتهم أيضًا بحسب الروح الرسوليّة التي تجلّت في مجمع الإصلاح الكاثوليكيّ بمدينة ترانت في إيطاليا (١٥٤٥-١٥٦٣)(٣). لذلك لم يكن من المستغرب أن تستميل هذه الروح الجديدة بعض المسيحيّين، بل وبعض أعضاء الإكليرس. وهكذا أخذت الحركة الكاثوليكيّة، منذ القرن السابع عشر،

(*) باحث له مؤلّفات في شؤون الإيمان والتربية.

(١) مثلًا النهار، في ١٠/٥/١٩٩٦.

(٢) في العام ١٦٣٠ كان عدد المرسلين بحلب يضمّ ستّة من الآباء والإخوة الفرنسيسيّين وخمسة من الآباء والإخوة الكبّوشيّين واثنين من الآباء اليسوعيّين (وقد وصلا إلى هذه المدينة في العام ١٦٢٥). أنظر: Musset. *Histoire du Christianisme, spécialement en Orient*, Tome II, p. 158.

(٣) B. Heyberger. *Les Chrétiens du Proche-Orient au temps de la réforme catholique*, Edition de l'Ecole Française de Rome, 1994, p. 233.

تمتدّ وتنتشر في حلب ودمشق وصيدا، سواء أبين أعضاء الإكليرس كان أم بين أفراد الشعب. ونرى أنّ بعضهم تبنّوا الإيمان الكاثوليكيّ بالرغم من بقائهم أرثوذكسيّين. «وكان أثناسيوس الثالث آخر بطريرك اختلط الأرثوذكس والكاثوليك في أثناء ولايته»[٤].

وعند وفاة هذا البطريرك في العام ١٧٢٤، رأى الكاثوليك أنّ الوقت قد حان ليتخبوا بطريركًا متّحدًا اتّحادًا علنيًّا بروما. فوقعت أصوات سكّان دمشق على مواطنهم سيرافيم طاناس، حفيد المطران صيفي، وأحد الموالين المتحمّسين للكثلكة في صيدا. فرسمه ثلاثة مطارنة واتّخذ اسم كيرلّس السادس. ولمّا علمت القسطنطينيّة بوفاة أثناسيوس، بادرت إلى انتخاب سلفسترس القبرصيّ. وفي كانون الأوّل (ديسمبر) من العام نفسه، رشق هيرونيمس القسطنطينيّ كيرلّس السادس بالحرم[٥]. وهكذا تمّ الانشقاق. وفي ما بعد، عاد بعض المؤمنين الكاثوليك إلى الأرثوذكسيّة عندما فُرض التقويم الغريغوريّ على الشرقيّين الكاثوليك. كتب المطران جورج خضر: «وتفاقم التوتّر بين المجموعتين حتّى المجمع الڤاتيكانيّ الثاني»[٦].

من نتائج المجمع الڤاتيكانيّ الثاني على الصعيد المسكونيّ

المجمع والقرار في الحركة المسكونيّة

لقد سجّل المجمع الڤاتيكانيّ الثاني منعطفًا في علاقات روما بالمسيحيّين غير الكاثوليك، ولا سيّما الأرثوذكس منهم. ونحن نعلم أنّ خدمة قضيّة الوحدة المسيحيّة كانت أحد هدفَي دعوة البابا يوحنّا الثالث والعشرين إلى عقد المجمع. ودعا أيضًا البابا نفسه الكنائس غير

---

(٤) Musset, p. 169. أُنظر أيضًا: إغناطيوس ديك: الملكيّون: العقيدة والموقف المسكونيّ، حلب، ١٩٩٧، ص ص ١٣-٢٤.

(٥) Musset, p. 174.

(٦) النهار، في ٥/١٠/١٩٩٦.

الكاثوليكيّة إلى إرسال المراقبين وفسح لهم المجال للعمل في جوّ من الانفتاح والثقة. وفي هذا المناخ من التسامح، نرى أنّ وفد كنيسة الروم الكاثوليك الأنطاكيّة إلى المجمع قد عدَّ نفسَه لسان حال كنيسة الروم الأرثوذكس الأنطاكيّة، وأسمع صوتها ولفت نظر آباء المجمع إلى تراثها الشرقيّ والليترجيّ والآبائيّ والبطريركيّ، حتّى قال البطريرك المسكونيّ أثناغوراس للبطريرك مكسيموس الرابع في هذا الصدد: «في المجمع، لقد تكلّمتم باسمنا»!

وجاء القرار المجمعيّ في الحركة المسكونيّة ثمرة مداولات ومداخلات كثيرة، ليُثبت أنّ شيئًا جديدًا قد حدث. فاعترف بأنّ مسؤوليّة انشقاقاتنا المحزنة تعود إلى الطرفَيْن[٧]، كما صرّح بأنّ الإخوة المنفصلين عن الشركة الكاملة، «وقد برّرهم الإيمان في قبول سرّ العماد، يصيرون أعضاء بالمسيح. ولذلك يحقّ لهم أن يتشرَّفوا بالاسم المسيحيّ، وأن يعترف بهم أبناءُ الكنيسة الكاثوليكيّة إخوةً في الربّ» (رقم ٣). وفي حديثه عن الأرثوذكس، نوّه المجمع صراحةً بالكنائس المحلّيّة والكنائس الشرقيّة البطريركيّة التي «يفتخر أكثرُها بأنّ الرسل أنفسهم قد أسّسوها» (رقم ١٤).

وعلى أثر الفاتيكانيّ الثاني، أخذ الروم الكاثوليك يعودون إلى اكتشاف التراث الأرثوذكسيّ. وأدركوا أنّ دورهم لم يعد قائمًا على المصالحة بين الأرثوذكسيّة وروما، كما أقرّت به اللجنة الملكيّة البطريركيّة في العام ١٩٦٨، بل شرعوا يفكّرون في أنّ محاورهم المباشر هو الكرسيّ الأرثوذكسيّ الأنطاكيّ. وهذا شأن المجمع الأرثوذكسيّ أيضًا، فهو كما أشار المطران خضر، «بعدما لمس نموًّا في المسكونيّة الكاثوليكيّة، قال: فلنذهب إليهم حيث هم مقيمون بكلّ حبّ»[٨].

---

(٧) Documents conciliaires, *L'Œcuménisme*, Introduction par le P. Yves Congar, Centurion, tome I, p. 179.

(٨) محاضرة المطران خضر للكاثوليك في الكسليك، في ١٣/١٢/١٩٩٦.

التلاقي بعد الفراق

وبفضل هذه الروح المسكونيّة الجديدة، عدل الروم الكاثوليك عن اجتذاب الأرثوذكس إليهم، وزال عنهم هذا الهمّ على الإطلاق. وبناء على ذلك الوعي المشترك وعلى اليقظة في كلتا الكنسيتين، بدأ التقارب بينهما وتمّ التلاقي في أثناء انعقاد السينودسَين في أيّار (مايو) ١٩٧٤ وبلا توافق سابق. ففي أوّل أيّار (مايو)، استقبل المجمع الأرثوذكسيّ الوفد الكاثوليكيّ في دير مار إلياس (شويّا) وفي قاعة اجتماعه بالذات. فخطب المطران إلياس زغبي الكاثوليكيّ متكلّمًا على إعادة الوحدة الحقيقيّة بين الكنيستَين، من دون انتظار قيام الوحدة بين رومة وبقيّة الكنائس الأرثوذكسيّة. وفي ٢٢ من الشهر نفسه، استقبل السينودس الكاثوليكيّ الوفد الأرثوذكسيّ في عين تراز وفي قاعة اجتماعه، فخطب المطران جورج خضر الأرثوذكسيّ، وقال: «نحن نريد أن تتمّ معكم وحدة أنطاكية، بلا عودة إلى مرجعيّة خارج البلاد». فصفّق آباء المجمع لهذه الكلمات تصفيقًا حادًا. غير أنّ بطريركيّة الروم الكاثوليك أصدرت في ٢٨ آب (أغسطس) بلاغًا تضمّن الكلام على التقارب، وأصرّ على الإقرار بالرئاسة الرومانيّة[٩].

«تجميد الشركة»

غير أنّ المطران خضر لم يدّخر جهدًا في متابعة المسيرة. وأتيحت له الفرصة عندما انتدبه البطريرك إلياس الرابع (معوّض) إلى رومة في زيارة أرادها سرّيّة، «حاملًا معه قضيّة القدس وقضيّة الروم الكاثوليك». فاستقبله البابا بولس السادس بحضور الأب بيار دوبريه. وكما رواه هو نفسه في صحيفة النهار[١٠]، ابتكر المطران خضر صيغةً لاتّحاد فرعَي الكرسيّ الأنطاكيّ اتّحادًا مرحليًّا، ريثما يتمّ اتّحاد هذا الكرسيّ برومة، فتكلّم على «تجميد شركة» الروم الكاثوليك تجميدًا مؤقّتًا لأسباب تتعلّق

---

(٩) خضر، «المشروع الوحدويّ للروم الكاثوليك»، النهار في ٥/١٠/٩٥.
(١٠) المصدر نفسه.

بلاهوت الكنيسة المحليَّة، إذ إنَّ فيها تتحقّق الكنيسة الجامعة. وأضاف المطران في حديثه لجريدة النهار: «إنَّ بولس السادس لازم الصمت. وفهمتُ أنّه لم يكن مهيّئًا لفتح كهذا».

«هل نحن جميعًا منشقّون؟» والشركة المزدوجة

وفي العام ١٩٨١، أصدر المطران إلياس زغبي، مطران بعلبك للروم الكاثوليك، كتابًا باللغة الفرنسيّة لفت عنوانُه نظر الأوساط الكنسيّة: «هل نحن جميعًا منشقّون؟». فروى فيه مراحل الانشقاق في الكرسيّ الأنطاكيّ، وما نجم عنه من آثار منها «الأونياتيّة» أو (الاتّحاديّة). فعبّر عن أفكاره بكلمات مؤثّرة، وقال إنّه، بقدر ما يحبّ الكنيسة الأرثوذكسيّة ويتعلّق بها لأنّه مدين لها بإيمانه، يحبّ كنيسة رومة ويتعلّق بها لكونها كرسيّ المسيحيّة الأوّل ومركز وحدتها. لذلك لا يريد أن يموت في حالة الانشقاق لا عن هذه ولا عن تلك. وختم مؤلّفه مناديًا بما أسماه «الشركة المزدوجة»، وهي أن يبقى الملكيّون في شركة مع رومة ويدخلوا في شركة مع الكرسيّ الأنطاكيّ الأرثوذكسيّ[١١].

ولكن لا بدّ أن نذكّر هنا بأنّ المطران زغبي سبق أن قدّم مشروع «الشركة المزدوجة» هذا إلى سينودس الروم الكاثوليك في آب (أغسطس) ١٩٧٥، فحوّله السينودس إلى رومة بتاريخ ٧ أيلول (سبتمبر) من العام نفسه. وفي ٩ نيسان (أبريل) من العام ١٩٧٦، أدلت اللجنة الرومانيّة المكلّفة دراسته برأي سلبيّ، مذكّرة بنصيحة آباء السينودس الداعية إلى الاعتدال والصبر[١٢].

وثيقة البلمند

وطرأ حدث مهمّ في حزيران (يونيو) ١٩٩٣ أدّى إلى إثارة موضوع وحدة الكرسيّ الأنطاكيّ مرّة أخرى. فقد انعقدت في دير البلمند

---

(١١) Elias Zoghby, *Tous Schismatiques?* Beyrouth, 1981, p. 149؛ المطران إلياس الزغبي، ألسنا كلّنا منشقّين؟، منشورات النور، بيروت، ١٩٨٣.

(١٢) المصدر نفسه، ص ١٣١-١٣٢.

الأرثوذكسيّ بلبنان الدورة العامّة السابعة للجنة المشتركة العالميّة للحوار اللاهوتيّ بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنائس الأرثوذكسيّة. أمّا موضوع الدورة، فقد أملاه وضع الكنائس المؤلم في أوروبّا الشرقيّة، بعد انهيار الأنظمة الشيوعيّة في العام ١٩٨٩، وهو «الأونياتيّة» أو (الاتّحاديّة) سبيل للوحدة مرّ عليه الزمن، والسعي الحاليّ للشركة التامّة». وقد أصبحت نتائج هذه الدورة ما يسمّى اليوم «وثيقة البلمند»، وهي تتضمّن مقدّمة ومبادئ في علم الكنيسة وقواعد عمليّة، وتُعدّ المرجع الأساسيّ لحلّ مشاكل «الاتّحاديّة» المطروحة على الكنائس المحليّة في أوروبّا الشرقيّة وفي الشرق الأدنى. وتتحدّث الوثيقة عن الكنائس الشقيقة وعن حرّيّة الأفراد والجماعات الدينيّة، وعن التزام الكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة بهذا الحوار، وعن شجب جميع أشكال الاتّحاديّة. وهي تتحدّث أيضًا عن مسؤوليّة الرعاة المشتركة في الكنيسة الكاثوليكيّة والكنائس الأرثوذكسيّة في إطار الاعتراف والاحترام المتبادل لوظائفهم الرعويّة الخاصّة[١٣].

الإعلان الإيمانيّ الوحدويّ

كان من شأن ذلك كلّه أن حرّك مشروع الوحدة بين فرعَي الكرسيّ الأنطاكيّ وأبرز دور المطران زغبي ثانية. فأصدر في شباط (فبراير) ١٩٩٥ كرّاسًا بعنوان «أرثوذكسيّ متّحد؟ نعم! إتّحاديّ (أونياتيّ)؟ كلاّ!»[١٤]. وشرح فيه الأسباب التي دفعته إلى هذه الخطوة الجديدة، وهي «الإعلان الإيمانيّ الوحدويّ». ذلك بأنّ إحدى وثائق المجمع الڤاتيكانيّ الثاني تنصّ على أنّ الحوار بين الكنيسة الكاثوليكيّة وكنائس الشرق يجب أن يأخذ بعين الاعتبار حالة «كنائس الشرق في عهد ولادتها وترعرعها وطبيعة العلاقات التي كانت قائمة بينها وبين الكرسيّ الرومانيّ قبل الانشقاقات»[١٥]. وقد ذكّر بذلك البابا يوحنّا بولس الثاني في رسالته

---

(١٣) *Courrier œcuménique du Moyen-Orient*, 21 (III-1993), pp. 7-15.

(١٤) E. Zoghby, *Orthodoxe uni? Oui! Uniate? Non!* Beyrouth. fév. 1995, pp. 5-6 et 15.

(١٥) الوثائق المجمعيّة، قرار في الحركة المسكونيّة، رقم ١٤.

العامّة «ليكونوا واحدًا»[١٦].

أمّا المطران زغبي، فأوّل هذا النصّ على النحو التالي، قال: «وذلك يعني أنّه يجب معاودة الحوار بين الكنيستَيْن الرومانيّة والأرثوذكسيّة من حيث انقطع، من دون التقيّد بما قامت به أو حدّدته هذه الكنيسة وتلك، في غياب الأخرى»[١٧].

لذلك، «وبناءً على ما كان الوضع عليه قبل الانشقاق، وعلى كون الأرثوذكسيّة لا تختلف اليوم عمّا كانت عليه قبل الانشقاق، لا في إيمانها ولا في اعترافها بأوّليّة أسقف رومة»، أعلنَ المطران زغبي ما يلي:

١ - «أؤمن بكلّ ما تعلّمه الأرثوذكسيّة الشرقيّة.

٢ - «أنا في شركة مع أسقف رومة في الحدود التي اعترف بها الآباء القدّيسون الشرقيّون في الألف الأوّل وقبل الانشقاق، على أنّه الأوّل بين الأساقفة. - بيروت في ١٨/٢/١٩٩٥»[١٨].

وفي ٢٠/٢/١٩٩٥، ونزولًا عند رغبة المطران زغبي، علّق المطران خضر موقّعًا على هذا الإعلان الإيمانيّ، قال: «أعتبر أنّ هذا الإعلان الإيمانيّ لسيادة المطران إلياس زغبي يضع الأُسس الضروريّة والكافية لإعادة الوحدة بين الكنائس الأرثوذكسيّة وروما - برمّانا في ٢٠/ ٢/ ١٩٩٥. المطران جورج خضر»[١٩].

وبعد أيّام قليلة، وافق المطران سليم بسترس على ما ورد في تعليق المطران خضر، مع تغيير طفيف، إذ إنّه لم يذكر إلاّ الأرثوذكسيّة الشرقيّة، قال: «أوافق على ما ورد عند المطران خضر في شأن إعلان المطران إلياس زغبي الإيمانيّ. فهو كافٍ لتحقيق الوحدة بين الأرثوذكسيّة الشرقيّة والكنيسة الرومانيّة. - بعلبك في ٢٥/٢/١٩٩٥. المطران سليم

---

(١٦) ليكونوا واحدًا، رقم ٥٠

(١٧) Zoghby, *op.cit* p. 15.

(١٨) «أرثوذكسيّ متّحد؟...» ص ٩.

(١٩) «أرثوذكسيّ متّحد؟...» ص ٩.

بسترس»[20].

حينئذٍ تقدّم المطران زغبي من آباء سينودس الروم الكاثوليك، المنعقد في الربوة من ٧/٢٢ إلى ١٩٩٥/٨/٤، مزوّدًا موافقة المطران خضر ودعم زميله المطران بسترس، وعرض عليهم منفردين «إعلانه الإيمانيّ»، وجمع تواقيع ٢٣ من أصل ٢٥ مطرانًا حاضرًا. ثمّ نُقل ملفّ القضيّة إلى كلّ من البطريرك مكسيموس الخامس (حكيم) والبطريرك أغناطيوس الرابع (هزيم).

بيانا سينودسَي الروم الكاثوليك والروم الأرثوذكس

بيان سينودس الروم الكاثوليك

إنّ سينودس الروم الكاثوليك الملتئم في الربوة من ٢٢ إلى ٢٧ تمّوز (يوليو) ١٩٩٦ أنهى أعماله ببيان يتعلّق بتوحيد البطريركيّة الأنطاكيّة، غير أنّه لم يُنشر إلاّ بتاريخ ٤ أيلول (سبتمبر)[21]. وبفضل هذا البيان نطّلع على مشروع المطران زغبي.

وهكذا نعلم، أنّ البطريركَيْن حكيم وهزيم رحّبا بهذا المشروع، وتداولا في شأنه، واتّفقا على تعيين لجنة أنطاكيّة مشتركة لدرسه والبحث عن سُبل إعادة الشركة والوحدة بين كنيستَي الروم الملكيّين الكاثوليك والروم الأرثوذكس. فعيّن البطريرك هزيم مع سينودسه المطران جورج خضر والمطران إلياس عودة، كما عيّن البطريرك حكيم المطران إلياس زغبي والمطران سليم بسترس.

وفي البيان الذي أصدره آباء سينودس الروم الكاثوليك وعلى رأسهم البطريرك مكسيموس الخامس، وجّهوا آيات الشكر إلى البطريرك أغناطيوس الرابع وآباء سينودسه لما أظهروا من اهتمام بهذا الموضوع في البيان الختاميّ الذي أصدره سينودسهم المقدّس المنعقد من ١٦ إلى ٢٢

---

(٢٠) «أرثوذكسيّ متحد؟...» ص ٩.
(٢١) النهار ١٩٩٧/٩/٤.

تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩٩٥. ويذكّر هذا البيان بتبادل الوفدَيْن السينودسَيْن في العام ١٩٧٤: «وقد تطلّعنا معًا آنذاك إلى وحدة أنطاكيّة تحفظ التراث الواحد والعبادات الواحدة التي هي ينبوع معتقد واحد».

ثمّ ينتقل بيان الروم الكاثوليك إلى موضوعه الرئيسيّ، ويصرّح بأنّ آباء السينودس يرون أنّ إعادة الوحدة هذه صارت اليوم ممكنة بفضل التقدّم في شركة الإيمان الذي حصل على الصعيد العالميّ من خلال اللجنة المشتركة العالميّة للحوار اللاهوتيّ بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنائس الأرثوذكسيّة. فقد أعلنت هذه اللجنة في ثلاث وثائق وحدة الإيمان في العقائد الأساسيّة المنبثقة من المجامع المسكونيّة السبعة[٢٢]، فضلًا عن الوثيقة الرابعة في «الأونياتيّة» الصادرة عن دورة البلمند، والتي تحدّد أُسس الشركة التامّة.

ويعلن أيضًا آباء السينودس، في ما يتعلّق بأوّليّة أسقف رومة، أنّهم يستوحون المفهوم الذي عاشه الشرق والغرب معًا في الألف الأوّل، متبنّين في ذلك ما جاء في الفاتيكانيّ الثاني («في الحركة المسكونيّة»، الرقم ١٤)، وما كتبه يوحنّا بولس الثاني في رسالته العامّة «ليكونوا واحدًا» (الرقم ٦١). وعليه، فإنّهم يرون أنّ لا مسوّغ لاستمرار الانفصال بسبب هذه الأوّليّة.

واستنادًا إلى الوحدة في جوهر الإيمان، «يرى آباء السينودس المقدّس أنّ المشاركة في القدسيّات أصبحت اليوم أمرًا طبيعيًّا»، تاركين مدى تطبيقها وطرقها لما يقرّره سينودسا الكنيستَيْن.

وأخيرًا، «يعلن الآباء بقاءهم في الشركة مع كنيسة رومة الرسوليّة، وسعيهم في الوقت عينه إلى التحاور معها لتحديد علاقتهم بها، بعد توحيد كنيستَي البطريركيّة الأنطاكيّة».

---

(٢٢) والوثائق الثلاث هي: سرّ الكنيسة والإفخارستيّا في ضوء سرّ الثالوث الأقدس (١٩٨٢)، الإيمان والأسرار ووحدة الكنيسة (١٩٨٧)، سرّ الكهنوت في بنية الكنيسة الأسرارية (١٩٨٨).

ردود الفعل والبيان السينودسيّ الأرثوذكسيّ

لقد أحدث الإعلان عن بيان السينودس الكاثوليكيّ بتاريخ ٩/٤/ ١٩٩٦ ردود فعل أرثوذكسيّة متعدّدة[٢٣]، غير أنّ أهمّها أعيد دَرْسه وصياغته، وورد في البيان السينودسيّ الأرثوذكسيّ الذي أُعلن عنه بدمشق في ١٠/١٠/١٩٩٦[٢٤].

يوضح البيان أنّ المجمع الأنطاكيّ قد تدارس المشروع الكاثوليكيّ بروح الودّ. غير أنّه يرى: «أنّه يجب مواصلة المباحثات في لاهوت الكنيسة على المستوى الأنطاكيّ، وكذلك الاستمرار في عمل اللجنة المشتركة العالميّة الكاثوليكيّة والأرثوذكسيّة، إذ إنّه يتعذّر الفصل بين المستوى الأنطاكيّ والمستوى العالميّ».

وترى أيضًا الكنيسة الأرثوذكسيّة أنّ التباحث في أمر الوحدة في الإيمان مع رومة لا يزال في أوائله، كما ترى «أنّ أوّل خطوة على طريق الوحدة على الصعيد العقائديّ تكون في عدم إضفاء الصفة المسكونيّة على المجامع الغربيّة المحلّيّة التي عقدها الغرب منفردًا، بما فيها المجمع الڤاتيكانيّ الأوّل، وتاليًا عدم إلزاميّة هذه المجامع للروم الكاثوليك».

أمّا في ما يتعلّق بالمشاركة في القدسيّات فورًا، فيرى المجمع الأرثوذكسيّ «أنّها مرتبطة باستقامة الرأي الكاملة الوضوح»، كما يرى «أنّ هذه الخطوة هي الأخيرة في المسيرة الوحدويّة، لا الخطوة التمهيديّة».

ومن ناحية أخرى فإنّ «الوحدة على أرض أنطاكية مرتبطة عند الجانب الأرثوذكسيّ بموافقة الكنائس الأرثوذكسيّة الشقيقة. فالمشاركة المزدوجة التي يطلبها الروم الكاثوليك مع رومة والكنيسة الأرثوذكسيّة

---

(٢٣) بالإضافة إلى مقال المطران خضر في النهار بتاريخ ٩٦/١٠/٥، وحديث في الكسليك بتاريخ ٩٦/١٢/٣، نذكر مقال الأرشمندريت توما بيطار في النهار بتاريخ ٩٦/٩/٢١.

(٢٤) في ما يتعلّق بالبيان المجمعيّ الأرثوذكسيّ، راجع النشرة (البطريركيّة)، دمشق، ١٩٩٦، العدد ٧، البند ٦، ص ٧٣-٧٥.

الأنطاكيّة بآن معًا، لا يمكن أن تنفصل عن إعادة الشركة بين الكرسيّ الرومانيّ والأرثوذكسيّة جمعاء».

وإذا كان المسير اللاهوتيّ الوحدويّ طويلًا، فإنّه، كما أوضحه البيان، لن يثنيَ الكنيستَين «عن تواصل المودّة بينهما مع تمتين أواصر الأخوّة في المسيح، والتعبير عن ذلك في البحث اللاهوتيّ والتنسيق الرعائيّ والتعاون الإنسانيّ والخيريّ، بغية عودة الكنيسة الأنطاكيّة إلى وحدتها الأولى مع الكنائس الأرثوذكسيّة الشرقيّة والكنائس الكاثوليكيّة الشرقيّة».

وأخيرًا يحدّد البيان مهمّة مسكونيّة لكلتا الكنيستَين، إذ تصبحان بصنيعهما ذلك كلّه، «محرّضًا واحدًا لرومة ولأرثوذكس العالم».

إشكاليّة إعادة الوحدة

يمكننا أن نلخّص في فقرات ثلاث إشكاليّة تحقيق مشروع إعادة وحدة الكرسيّ الملكيّ الأنطاكيّ:

الشَركة في الإيمان

يرى سينودس الروم الكاثوليك أنّ الشركة في الإيمان مؤمّنة بفضل التقدّم الذي حقّقته، كما ذكرنا أعلاه، اللجنة المشتركة العالميّة من أجل الحوار ووثائقها الأربع. ويعتقد المطران سليم بسترس أنّ نداء سينودس الروم الكاثوليك يستند إلى «قناعتنا بأنّنا متّفقون مع الروم الأرثوذكس حول جوهر الإيمان، وأنّنا (هم ونحن) على إيمان واحد بالنسبة إلى نقاط العقيدة الرئيسيّة. أمّا النقاط التي لم نتوصّل بعد إلى الاتّفاق في شأنها، فإنّنا نعدّها مقولات لاهوتيّة، وقد تبقى طويلًا موضوع نقاش»[٢٥].

---

(٢٥) Mgr. Salim Bustros, in Le Lien, «A propos de la réponse du Synode Grec orth.» 1996, no. 6, pp. 52-54.
أنظر أيضًا النهار، ١٩٩٦/١٠/٢٨، حوار مع المطران بسترس.

أمّا الروم الأرثوذكس فيعتقدون أنّ الحوار اللاهوتيّ ما زال في أوائله، وأنّه «لم يتطرّق إلى قضيّة انبثاق الروح القدس التي تفصلنا عن الروم الكاثوليك»، ولا إلى نقاط أخرى كالخطيئة الأصليّة ومعرفة الله واللاهوت الأخيريّ (الدينونة الخاصّة والمطهر وطبيعة الرؤية الطوباويّة)[٢٦]. ويتساءل المطران خضر: هل الكاثوليك هم على استعداد بأن يتخلّوا عن بعض نقاط اللاهوت الغربيّ[٢٧]؟ ويتابع تساؤله قائلًا: إذا كان الروم الكاثوليك ملتزمين بتعاليم الألف الأوّل اللاهوتيّة، فهل يعتبرون أنفسهم غير مقيّدين بالمجامع التي انعقدت في الغرب في الألف الثاني؟

الأوّليّة أو الرئاسة الرومانيّة والولاية

لقد أعلن آباء سينودس الروم الكاثوليك بقاءهم في الشركة مع كنيسة رومة الرسوليّة، وسعيهم في الوقت عينه إلى التحاور معها لتحديد علاقتهم بها بعد توحيد كنيستَي البطريركيّة الأنطاكيّة[٢٨]. غير أنّ المطران بسترس، في تحاوره مع النهار، يوضح أنّه، في المرحلة الأخيرة من إعادة وحدة البطريركيّة، سيكون للجميع (الروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك) نوع واحد من العلاقات بكرسيّ رومة، يتحدّد استنادًا إلى خبرة الألف الأوّل التي اختبرتها المسيحيّة. ذلك بأنّ أوّليّة أسقف رومة، طوال هذه المدّة، كانت تعترف بها كنيستا الشرق والغرب[٢٩]. أمّا الخلاف فكان قائمًا على طريقة ممارسة هذه الأوّليّة.

ويشير المطران جورج خضر إلى أنّ الألف الأوّل لم يكن موحّد النظرة إلى هذه الرئاسة[٣٠]. وهو يتساءل من جهة أخرى: كيف يمكن

---

(٢٦) المطران جورج خضر، النهار، ٥/١٠/١٩٩٦.

(٢٧) النهار، ٢٩/١٠/١٩٩٦، حوار مع المطران خضر.

(٢٨) أنظر في أعلاه ص ١١٣.

(٢٩) Bustros, *op.cit.* p. 53.

(٣٠) المطران جورج خضر، «المشروع الوحدويّ للروم الكاثوليك»، النهار في ٥/١٠/١٩٩٦.

الروم الكاثوليك، بعد اتّحادهم وفقدانهم كيانهم المستقلّ، أن يسعوا إلى الحوار مع رومة؟ وكيف يمكن، والحالة هذه، أن تكون لهم علاقات متفردة بها ليحدّدوها؟[٣١] ويتساءل أيضًا المطران خضر: هل الروم الكاثوليك، في طرحهم صيغة علاقتهم الجديدة بكرسيّ رومة، قد اتّخذوا مسافة من لجنة الحوار الرسميّ بين الأرثوذكسيّة والكثلكة، لا سيّما وأنّ هذا الحوار لم يتصدَّ حتّى الآن لمسألة الرئاسة البابويّة؟[٣٢].

الشركة المزدوجة والمشاركة في القدسيّات

وقد لُخِّصت فكرة «الشركة المزدوجة» التي ذكرها المطران زغبي في كتابه هل نحن جميعًا متشقّون؟ على النحو التالي: «نحن متّحدون برومة، وستّحد بالأرثوذكس، ولكن ليس من الضروريّ أن يتّحد الأرثوذكس برومة». أمّا المطران بسترس فيتجنّب استعمال هذه العبارة، ويفضّل عبارة ثانية، وهي «الدرجات في الشركة». فهذا ما يعنيه الكاثوليك والأرثوذكس عندما يقولون إنّهم في «شركة شبه كاملة»[٣٣].

ومهما يكن الأمر، فذلك لا يحلّ المسألة التي طرحها المطران خضر، وهو أنّنا أمام أربعة فرقاء هي: الروم الكاثوليك والروم الأرثوذكس الأنطاكيّون ورومة والكنائس الأرثوذكسيّة في العالم. يقول: في حال اتّحاد الروم الكاثوليك بالروم الأرثوذكس، إذا كان روم كاثوليك أنطاكية في شركة مع رومة، فهم يُدخلون روم أرثوذكس أنطاكية أيضًا في الشركة مع رومة؛ وإذا كان روم أورثوذكس أنطاكية في شركة مع رومة، فهم يُدخلون جميع أرثوذكس العالم في الشركة مع رومة[٣٤]. فمسألة الشركة

---

(٣١) المطران جورج خضر، «المشروع الوحدويّ للروم الكاثوليك»، النهار في ٥/ ١٠/ ١٩٩٦.

(٣٢) المطران جورج خضر، «المشروع الوحدويّ للروم الكاثوليك»، النهار في ٥/ ١٠/ ١٩٩٦.

(٣٣) المطران بسترس: «نحن متّفقون مع الأرثوذكس حول عقائد الإيمان وآرّليّة أسقف رومة»، في النهار، ٢٨/ ١٠/ ١٩٩٦.

(٣٤) المطران خضر، النهار ٥/ ١٠/ ١٩٩٦.

بين روم كاثوليك أنطاكية وروم أرثوذكس أنطاكية تثير إذًا مسألة جامعة، وهي الشركة بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنائس الأرثوذكسيّة في العالم.

آفاق مستقبليّة

لا بدّ أن نذكر أوّلًا أنّ كلًّا من البطريرك مكسيموس الخامس والبطريرك أغناطيوس الرابع متمسّك بالمحافظة على علاقته برومة، ولا يرغب في أن تسبّب إعادة وحدة الكرسيّ الملكيّ الأنطاكيّ انقسامًا جديدًا يثبّت الأوّل ويكرّسه[٣٥].

غير أنّ كنيسة الروم الكاثوليك، كما يذكر البطريرك مكسيموس الخامس[٣٦]، ترغب في تطوير الصيغة المرعيّة في ممارسة شركة الكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة مع كرسيّ رومة. «إنّ شركتنا مع كرسيّ أنطاكية الأرثوذكسيّ لن تكون على حساب شركتنا مع رومة، بل على حساب الصيغة الخاطئة المتّبعة»، لتتيح للمؤسّسة البطريركيّة وسينودسها أن يمارسا دورهما في السلطة والإدارة الرعائيّة كما كانا يمارسانه في الألف الأوّل.

ويوضح من ناحية أخرى أنّ الانشقاق الكنسيّ عبر التاريخ لم يكن كاملًا وكذلك وحدتها. ويذكر مؤرّخو الكنيسة أنّ الانشقاق قد عرف خروقًا كثيرة، كما أنّ الوحدة الكنسيّة قد عرفت هي أيضًا خروقًا. وقد بدا الانشقاق واضحًا عبر العصور، ولا سيّما في البطريركيّة الأنطاكيّة، حيث كان بطاركة وأساقفة أنطاكيّون وأرثوذكسيّون يقيمون علاقات شركة بكرسيّ رومة الرسوليّ، مع بقائهم في الشركة مع الأرثوذكسيّة والبطريرك المسكونيّ[٣٧].

وعندما سُئل البطريرك أغناطيوس الرابع عن رأيه في موضوع الشركة

---

(٣٥) البطريرك حكيم، النهار ١/ ١٠/ ١٩٩٦ - البطريرك هزيم، *L'Orient-Le Jour* بتاريخ ١٩/ ١٠/ ١٩٩٦.

(٣٦) البطريرك حكيم، المصدر نفسه.

(٣٧) المصدر نفسه.

المزدوجة، أجاب: «إنّه لا يوجد لديناً هذا الخيار ولا نرى ضرورته». وهو يتمنّى من ناحية أخرى أن تَتحدّد علاقة الكنيسة الأرثوذكسيّة برومة على ما كانت عليه قبل الانشقاق الكبير. لكنّه يلاحظ أنّ ثمّة أمورًا قيد التغيير. فالكنيسة الأرثوذكسيّة أصبحت تُدعى كنيسة شقيقة، وذلك يعني أنّ في العقائد ما يحتاج إلى تطوير لكي لا تتناقض مع وجود الكنيسة الشقيقة[٣٨].

على كلّ، لقد اتّضح أنّ استعادة وحدة الكرسيّ الأنطاكيّ مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالوحدة بين الكنيسة الأرثوذكسيّة وكنيسة رومة. هكذا يبرز ثانية دور اللجنة العالميّة المشتركة للحوار اللاهوتيّ بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنائس الأرثوذكسيّة. لذلك يبدو غير مُجدٍ أن تتّخذ المسافة من لجنة الحوار هذه لطرح حلٍّ للعلاقة برومة بالعودة إلى ما كانت عليه في الألف الأوّل، أو لطرح حلٍّ للمجامع المسكونيّة المنعقدة في الألف الثاني، واعتبارها مجامع عامّة لا تطبّق مقرّراتها على الكنائس الشرقيّة. فلا بدّ من العودة إلى لجنة الحوار هذه للبحث في شأن صيغة ممارسة أسقف رومة خدمة الوحدة في الكنيسة الجامعة، وفي شأن المجامع المسكونيّة التي انعقدت في الغرب في غياب الكنائس الشرقيّة. هذا هو معنى النداء الذي وجّهه إلى البابا يوحنّا بولس الثاني عددٌ من اللاهوتيّين الكاثوليك والأرثوذكس المجتمعين في دير شيفوتون في ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٩٧[٣٩]. أمّا مهمّة اللجنة البطريركيّة الأنطاكيّة المشتركة فتقوم على عقد اجتماعات مكثّفة لتحريك سينودسيها وللبحث اللاهوتيّ والتنسيق الرعائيّ والتعاون الإنسانيّ والخيريّ[٤٠].

وإذا ما كانت محاولة إعادة وحدة فرعَي الكنيسة الملكيّة الأنطاكيّة قد وضّحت مسائل لاهوتيّة وإداريّة في غاية الأهمّيّة، فإنّها قد خلقت أيضًا

---

(٣٨) البطريرك هزيم، *L'Orient-Le Jour* المصدر نفسه.

(٣٩) *SOP*, no. 215, fév. 1997, pp. 20-22.

(٤٠) البيان المجمع للروم الأرثوذكس، النشرة (البطريركيّة)، دمشق، ١٩٩٦، العدد ٧، البند ٦، ص ٧٣-٧٥.

بينهما مناخًا جديدًا من المودّة الأخويّة. ويعود الآن إلى جميع رعاة كنائسنا ولاهوتيّيها أن يبحثوا، بمعونة الروح القدس، عن الأساليب التي يمكن أن تُحقِّق بها خدمةُ الوحدة رسالةَ المحبّة («ليكونوا واحدًا» الرقم ٩٥).

دمشق، أيّار/مايو ١٩٩٧

ملحق

ألقيتُ موضوع هذا المقال في مؤتمر اليسوعيّين المسكونيّ في تمّوز ١٩٩٧ بنابولي. وأستكمله الآن مشيرًا إلى بيانَي السينودسَيْن الأرثوذكسيّ والكاثوليكيّ الأخيرَيْن، وإلى الكتاب الصادر عن الكرسيّ الرومانيّ بتاريخ ٩٧/٦/١١[٤١].

إلتأم المجمع الأرثوذكسيّ الأنطاكيّ في ٢٦-٢٧ أيّار ١٩٩٧، وأعرب في بيانه الختاميّ أنّه من الضروريّ «أن تجتمع اللجنة العالميّة المشتركة للحوار بين الكنيسة الأرثوذكسيّة والكنيسة الكاثوليكيّة»، كما أكّد ضرورة متابعة الحوار مع كرسيّ الروم الكاثوليك الأنطاكيّ، مجدّدًا الدعوة إلى التقارب بين الكنيستَيْن. وقد استجاب السينودس الكاثوليكيّ (٢١-٢٦ تمّوز ١٩٩٧) لهذه الدعوة في بيانه الختاميّ أيضًا، «وقرّر الآباء متابعة السعي لتعزيز العلاقات الأخويّة بين الكنيستَيْن على جميع الأصعدة الرعويّة والليترجيّة والإنسانيّة»، ومواكبة الأنشطة المسكونيّة في العالم المسيحيّ. وأهاب كلا السينودسَيْن باللجنة الرباعيّة المشتركة إلى متابعة العمل من أجل تحقيق الغاية التي أُنشئت من أجلها.

وتلقّى غبطة البطريرك مكسيموس الخامس كتابًا من الكرسيّ الرسوليّ الرومانيّ بتاريخ ١١ حزيران ١٩٩٧، حول مشروع التقارب بين بطريركيّة الروم الكاثوليك الملكيّة وبطريركيّة أنطاكيّة الأرثوذكسيّة. صدر هذا الكتاب عن مجمع العقيدة والإيمان، والمجمع المقدّس للكنائس

(٤١) أُنظر النصّ الكامل في مجلّة البطريركيّة الملكيّة *Le Lien*، ١٩٩٧، العدد ٤، ص ٣٢-٣٤.

الشرقيّة، والمجلس الحبريّ من أجل وحدة المسيحيّين. فبعد دَرْس الموضوعات المتعلّقة باختصاص كلّ من تلك المراجع، وبتكليف من الأب الأقدس، أدلى رؤساء الدوائر الثلاث هذه مجتمعين ببعض الخواطر حول المشروع المذكور. ونحن نوردها في ما يلي بإيجاز مبيّنين توجّهات الكرسيّ الرسوليّ الرومانيّ في شأنه.

جاء في الكتاب أنّ الكرسيّ الرسوليّ يتابع باهتمام بالغ، بل يشجّع، المبادرات الرامية إلى المصالحة بين الكنائس المسيحيّة، ويقدّر جهود بطريركيّة الروم الكاثوليك الملكيّة ومساعيها منذ عدّة عقود لتسريع تحقيق الشركة الكاملة المنشودة. وهو يدلي ببعض الخواطر آملًا أن تسهم في تقدّم هذه المبادرة تقدُّمًا لاحقًا.

ففي القضايا ذات الطابع اللاهوتيّ لا بدّ من العمل بصبر وتبصّر ومن دون تسرّع، ليتاح للفريقين أن يجتازا طريقًا مشتركًا. لذلك يجدر الانتباه إلى أنّ لغة الحوار ومقولاته تُؤوَّل تأويلات مختلفة بحسب وجهات النظر التاريخيّة والعقائديّة، بالإضافة إلى أنّ هذا الحوار لا يقتصر على المتحاورَيْن المباشَرَيْن، أي بطريركيّة الروم الكاثوليك وبطريركيّة الروم الأرثوذكس، بل يشمل أيضًا ضمنًا الشراكة الكاثوليكيّة في ما يتعلّق بالأولى، والأرثوذكسيّة في ما يختصّ بالثانية.

ثمّ تناول الكتاب ما ورد في الإعلان الإيمانيّ الذي أدلى به المطران إلياس زغبي، موضحًا أنّه، في الحديث عن الانتماء الكامل إلى تعاليم الأرثوذكسيّة الشرقيّة من قِبل الروم الكاثوليك، يجب الأخذ بعين الاعتبار أنّ الكنائس الأرثوذكسيّة ليست بعدُ في شركة تامّة مع رومة. ولا يمكن أن يتمّ هذا الانتماء ما لم يتوافر بين الطرفَيْن مطابقة تامّة في إعلان الإيمان وممارسته. وفي موضوع الشركة مع أساقفة رومة، لا يمكن تجاهل أنّ التعليم المتعلّق برئاسة الحبر الرومانيّ قد تنامى عبر الزمن في إطار توضيح إيمان الكنيسة. لذلك من الضروريّ حفظه بأكمله، منذ البدايات إلى أيّامنا هذه. وفي ما يتعلّق بمختلف أوجه المشاركة في القُدّاسات، يجدر الاستمرار في الحوار لتفهّم معنى القاعدة المرعيّة ومسوّغاتها اللاهوتيّة،

ممّا يجنّب القيام بمبادرات من طرف واحد سابقة لأوانها، قد ينتج منها أضرار لا يمكن التغاضي عنها، بما فيها الأضرار تجاه بقيّة الكاثوليك الشرقيين، لا سيّما المقيمين في المنطقة نفسها.

وختامًا، أشار الكتاب إلى أنّ الحوار الأخويّ الذي باشرت به بطريركيّة الروم الكاثوليك سوف يخدم المسيرة المسكونيّة بقدر ما يُشرك فيها الكنيسة الكاثوليكيّة بأجمعها. وفيما تعبّر دوائر الكرسيّ الرسوليّ هذه عن استعدادها للتعاون والتداول، فإنّها تعرب عن ارتياحها لما تمّ من لقاءات في هذا المجال بممثّلين من كنيسة الروم الكاثوليك.

دمشق، تشرين الأوّل/أكتوبر ١٩٩٧